دعوى

انتحال ابن دريد لكتاب العين

الدكتور صبيح التميمي

ابـن دريـد بَقَـرهْ   وفيه لؤم وشَـرَهْ
قد ادّعى بجهله   وَضْعَ كتاب الجمهرهْ
وهو كتاب العين إلاّ   أنه قد غيّـرَه (1)

---

1 - نزهة الألباء : 261 ، ومعجم الأدباء 311/1 ، وبغية الوعاة 78/1 و تروى الأبيات برواية أخرى .

هذه أبيات أنشدها " إبراهيم بن عرفة النحوي المعروف بـ "نفطويه " (2) ، في هجاء معاصره اللغوي "ابن دريد" (3) صاحب معجم جمهرة اللغة ، ادّعى نفطويه فيها أن ابن دريد أخذ معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدى (4) ، وغيّره ثم انتحله لنفسه ، وسمّاه بـ " الجمهرة".
وشاعت هذه الأبيات منذ القرن الرابع الهجري ، وتفكّه بها كثير من الناس إلى يومنا هذا .
وأردت في هذا البحث المختصر أن ألقي ضوءا على مقولة " نفطويه " ، لمعرفة مدى صحتها ، بعد التحقق من مادة الكتابين أنفسهما .

---

2 - نفطويه : هو أحد علماء العربية في القرن الرابع الهجري ، ولد عام 244هـ ، تلقى العلم ببغداد ، وتصدر للتدريس فيها ، وتوفي فيها عام 323هـ ، ألف في علوم العربية والقراءات والتاريخ.
ترجمته في الفهرست 127 ، وتاريخ بغداد 159/6 ومعجم الأدباء 256/1 ...)
3 - ابن دريد : هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، ولد عام 223هـ في عمان على الأشهر وتنقل في بلاد كثيرة ، آخرها بغداد ، أشهر تآليفه : جمهرة اللغة ،والاشتقاق ، توفي عام 321هـ
ترجمته في :الفهرست 91 ، ومراتب النحويين 135 ، وتاريخ العلماء النحوين 225 ، وإنباه الرواة 92/3 ....
4 - الخليل هو أبرز علماء العربية ، شيخ سيبويه ، وصاحب أول معجم متكامل في العربية ، ومبتكر علم العروض ، توفي عام 175 هـ .
ترجمته في مراتب النحويين 54 ، والفهرست 63 ....وبغية الوعاة 557/1....)

وذلك بانتخاب بعض المواد اللغوية منهما بطريقة عشوائية ، ومقارنتها لتبيان وجه الاتفاق أو الاختلاف ، ووقع الاختيار على :

- ثلاث مواد من بناء الثلاثي ، وهي : عرب ، وخفق ، وغطف .
- ومادة واحدة من بناء الرباعي - لقلّته - وهي : قمعل .
- ومادة واحدة من المعتل ، وهي : هجو .

واليكم مقارنة المواد المذكورة :

بناء الثلاثي

1 - عرب

العين 128/2	جمهرة اللغة 266/1
- العرب العاربة : الصريح منهم	- العرب : ضد العجم . وسمّي يعرب بن قحطان ، لأنه ...... فأما مَن نسب قحطان إلى إسماعيل ......
- الأعاريب	- وعريب : اسم .....
- أعرب رجل : أفصح القول	- العرب العاربة : سبع قبائل .....
- أعرب الفرس : إذا خلصت عربيته	قال صلى الله عليه وآله وسلم ....
- المرأة العروب : الضحّاكة الطيبة النفس ...	قال الله تبارك وتعالى ......
- العروبة : يوم الجمعة ، قال :	- والعرب : يبيس البهمى .....
- العرب : النشاط	- أعرب الرجل بحجته : إذا أفصح عنها....
- وعربت معدته	وفي الحديث ....
- العرب : يبيس البهمى	- وعربت معدته ....
- التعريب : أن تعرّب الدابة	- وإعراب الكلام : إيضاح فصيحه ....
- العرابة والتعريب والأعراب : أسام ...	- رجل مُعْرب : إذا كان فصيحا ....
- وعَرِبت عن فلان : أي تكلمت عنه بحجة	

- ورجل مُعْرِب : له خيل عراب - قال الشاعر النابغة الجعدي .... - وتسمى حمير اللغة : العربية ، فيقولون.. وفي الحديث .... - والعَرَبَة : النهر الشديد الجري ، ومنه اشتقاق عرابة : اسم ، وهو عرابة الأوسي الذي مدحه الشماخ .... فقال فيه .... - والعربان والعربون .... - ويوم عروبة : يوم الجمعة ، معرفة لا تدخلها الألف واللام في اللغة الفصيحة .... قال الشاعر : .... وقد جاء في الشعر الفصيح بالألف واللام أيضا ، قال الشاعر .... وقال الآخر .... - وعربت الفرس تعريبا : إذا بزغته - وإعراب الكلام : ايضاح فصيحة - وقد جمع الأعراب : أعاريب في الشعر الفصيح - والعروب من النساء : المحبة لزوجها المظهرة له ذلك ، وكذلك فسره أبو عبيدة في التنزيل في قوله جل ثناؤه	

المقارنة :

1 - عدد اشتقاقات مادة (عرب) في العين اثنا عشر وفي الجمهرة ثمانية عشر.

2 - في العين شاهد شعري واحد غير منسوب ، وفي الجمهرة عشرة شواهد : آيتان كريمتان ، وثلاثة أحاديث شريفة ، وخمسة أبيات شعرية نسب اثنين منها .

3- الاشتقاقات المتشابهة في الشرح بين الكتابين ، هي : العرب ، أعرب الرجل ، العروبة ، مع إضافة ابن دريد مسألة دخول " أل " على " عروبة " ...

4 - باقي الاشتقاقات وهي " تسعة " في (العين) ، وخمسة عشر في (الجمهرة) مختلفة .

****

2 - خفق

العين 153/4	جمهرة اللغة 236/2
- الخفق : ضربك الشيء بالدرة	- خفق النجم يخفق خفوقا : إذا أضاء .
- الخفق : صوت النعل	يقال خفق القمر والنجم : إذا انحطا في المغرب
- الخفق : اضطراب الشيء العريض	- وخفق السراب خفقا : إذا اضطرب
- المخفق : .... وهي الشيء الذي	فأما قول رؤبة : ....
يضرب فيه	- وخفق القلب خفقانا
- الخفقان : اضطراب القلب	- وفرس خيفق : وهو السريع
- الخفقان : اضطراب الجناح	- وخفق الرجل خفقة : إذا نعس نعسة
- أخفق الرجل : إذا ذهب راجي شيء	- وامرأة خفاقة الحشا : إذا كانت خميصة البطن.
فرجع خائبا	قال الراجز ....
- وسراب خفوق خافق : كثير الاضطراب	- المخفق : البلد الذي يخفق فيه السراب
- الخفقة : المفازة ذات السراب	- المخفق : السيف ....
قال : وخفقة ليس بها طوئي	- ريح خفاقة : سريعة المرور .
- وناقة خيفق : سريعة	- الخافقان : قطر الهواء
- ومثله خنفقيق : وهو مشي في اضطراب	- أخفق الرجل : إذا طلب الحاجة فلم ينجح ....
- فرس خيفق .... إذا كان سريعا	وربما سمّيت الدبر : خفّاقة

المقارنة :

1 – عدد اشتقاقات المادة في كل من الكتابين اثنا عشر اشتقاقا .

2 – في العين شاهد شعري واحد بلا عزو ، وفي الجمهرة شاهدان نسب أحدهما.

3 – هناك خمسة اشتقاقات تقاربت أو تطابقت في الشرح.

4 – هناك ستة اشتقاقات مختلفة .

****

3 – غطف

جمهرة اللغة 108/3	العين 387/4
– الغطف : وهو ضدُّ الوَطَف ، وهو قلّة شعر الحاجب ، وربما استُعمل ذلك في قلّة شعر هدب الشفر. – رجل أغطف ، وامرأة غطفاء – والفعل : غطف يغطَف غطفا . – وبه سمّي الرجل غطيفا . – وبنو غطيف : حي من العرب . – وغطفان : أيضا اشتقاقه من الغطف .	غطف : غطفان : حيٌ من قيس عيلان

المقارنة :

ما في جمهرة اللغة من إضافات أمر لا يحتاج إلى إيضاح .

****

بناء الرباعي

قمعل :

العين 300/2	جمهرة اللغة 347/3
- القمعل : القدح الضخم بلغه هذيل - قال : .... كالقمعل المنكب فوق الأثلب - الأثلب : التراب ، ينعت به حافر الفرس .	- القمعل : قصب صغير ، والجمع : قماعل ، وقماعيل - ويقال للرجل إذا كان في رأسه عجر : قماعيل وقماعل وقيل للواحد : قمعول . - ويقال لضرب من الكمأة : قمعل - والقمعل : طائر زعموا

المقارنة :

ما في جمهرة اللغة من إضافات أمر بيّن

****

المعتلّ

هجو :

العين 65/4	جمهرة اللغة 230/3
- هجا يهجو هجاء " ممدود " وهو الوقيعة في الأشعار - والهجاء " ممدود " : تهجية الحروف - تقول تهجأت وتهجيت بهمز وتبديل.	- الهجا " مقصور " : هجي الرجل يهجى هجى شديدا : وهو التهاب الجوع - يقال : أهجاني طعامكم هذا ، أي : سكن جوعي - والهجاء : مصدر معروف من هجاء الشعر ، وهجاء الحروف " ممدودان " - هجاه هجاء قبيحا - وحروف الهجاء معروفة .

المقارنة :

مافي جمهرة اللغة إضافة أصيلة للمادة اللغوية ، إضافة إلى الاختلاف في عرض الاشتقاقات المتماثلة .

****

نتيجة المقارنة للمواد المختارة – على قلّتها – تكشف عن شخصية " ابن دريد " المعجمية ، وأنه لم يكن ناقلا لمادة كتاب العين فحسب ، بل هو مستوعب لما في كتاب العين ، وأضاف إليه مارواه عن شيوخه من علماء العربية ، وكذا ما اطّلع عليه من تراث السابقين له وما يؤيّد هذا القول أمور أخرى ، منها :

اولا : إضافة ابن دريد مواد لغوية اهملها الخليل في كتابه العين من ذلك :

أ- <u>الزحك</u> : الدنوّ

أهمله الخليل وذكره ابن دريد **(جمهرة اللغة 149/2)**

ب- <u>خفد :</u>

ما ذكره الخليل هو الخفيدد من " خفد " فحسب ،

أما ابن دريد فقد ذكر المعكوسات : خفد ، خدف ، فدخ

(العين 233/4 ، وجمهرة اللغة 201/2) .

ج- <u>العرث</u> : الانتزاع

أهمله الخليل ، وذكره ابن دريد **(العين 105/2 وجمهرة اللغة 39/2)**

د- <u>الفكع</u> : الحمق

أهمله الخليل ، وذكره ابن دريد **(العين 205/1 ، وجمهرة اللغة 126/3)**

هـ- كوه : تفرق واتّسع

أهمله الخليل وذكره ابن دريد (العين 64/4 ، وجمهرة اللغة 174/3)

أقول : هذه شواهد قليلة - ذكرت على سبيل الحصر - تكشف لنا عن الإضافات الأصيلة لابن دريد نتيجة روايته اللغة عن رواة أخر غير صاحب العين .

****

ثانيا : أمانة ابن دريد العلمية :

وأريد بها هنا هو إشارته إلى ماتفرّد به الخليل صاحب كتاب العين ، أو ما انماز به ، من ذلك :

أ- " قال : العسق : العرجون ، لغة صحيحة جاء بها الخليل "

(جمهرة اللغة 31/3 والعين 130/1)

ب- " قال : العُسوم : ذكر الخليل أن القطع من الخبز تسمى العُسوم "

(جمهرة اللغة 34/3 والعين 346/3)

ج- " قال : ليس في كلامهم " فَعْيل " (بفتح الفاء) ، فأما " ضَهْيد " فمصنوع كذا يقول الخليل .

(جمهرة اللغة 359/3 ، والعين 283/2)

د- قال : و الهمق - ذكر الخليل - : أن الهمقانة حَبٌ يُؤكل ، وليس بعربي صحيح " .
(جمهرة اللغة 167/3 ، والعين 372/3) .

أقول : هذه الإشارات - ونظائرها كثيرة - تكشف لنا عن الأمانة العلمية التي تحلّى بها ابن دريد في ميدان النقل عن الآخرين ، خاصة عن كتاب العين .

****

ثالثا : عناية ابن دريد بكتاب العين

لم يكن ابن دريد أخفى عنايته واعتماده على كتاب العين ، بل أظهرها وصرّح بها ، فكتابُ العين هو المصدر الوحيد الذي ذكره ابن دريد في مقدمته " جمهرة اللغة " مع المدح والإطراء له، علما أنه لم يقتصر عليه ، فالمتصفّح للجمهرة يجد روايات كثيرة عن يونس ، وأبي الخطاب ، والأخفش ، والأصمعي ، وأبي زيد ، وأبي عبيدة ، وابن الكلبي ، وكذا روايات مّن أدركهم كعبد الرحمن بن أخي الأصمعي ، وأبي حاتم السجستاني ، والرياشي ، والأشناندانى، وأبي عمران الكلابي وغيرهم ، ومع ذلك اقتصر في مقدمة الكتاب على ذِكر كتاب العين ، مع الاعتراف بعلم الخليل ، وفضله ، وريادته في التأليف المعجمي ، واقتدائه به.

****

رابعا : تميز جمهرة اللغة بدراسة جوانب لغوية لم تكن بارزة في كتاب العين من ذلك :
- عنايته بذكر اللهجات العربية.
- وبالمعرّب والدخيل.
- وبذكر الألفاظ المماتة.
- وبالتطور الدلالي للألفاظ الذي خصّه بباب سمّاه " باب النوادر "

خامسا : كون كتاب " جمهرة اللغة " قد اتُّخذ مصدرا رئيسا لجملة من معجمات العربية أسوة بكتاب العين ، فقد صرّح أصحاب هذا المعاجم في مقدمات كتبهم باعتمادهم (الجمهرة) ، وهم أدرى بالذي اشتملت عليه من مادة لغوية ، من هؤلاء :

- ابن فارس (ت 395 هـ) في معجمه " مقاييس اللغة ، وكذا اعتماده روايات ابن دريد
- أيضا - في معجمه الآخر " المجمل " .
- ابن سيدة (ت 458 هـ) في معجمه : المخصّص ، والمحكم والمحيط الأعظم ، علما أن الثاني هو أحد مصادر لسان العرب لابن منظور .
- الحسن الصغاني (ت 650 هـ) في معجميه : العباب ، والتكملة .

****

فهذه الأمور أي :

1 - المقارنة بين مواد لغوية متماثلة من الكتابين ، وبروز الخلاف بينهما.
2 - أصالة كتاب جمهرة اللغة في إضافة مواد جديدة خلا منها كتاب العين .
3 - الأمانة العلمية لصاحب جمهرة اللغة ، التي تمثّلت في نسبة كثير من أقوال الخليل ، وما تفرّد به ، وذكر اسمه بصراحة في مقدمة الكتاب ، مع الاعتراف بفضله ، والاقتداء بعمله .
4 - تميّز " جمهرة اللغة " بدراسة جوانب لغوية ، لم تكن بارزة في كتاب العين .

أقول : إن هذه الأمور مجتمعة تشكّل ردّاً حاسما على من يدّعي سرقة ابن دريد كتاب العين ، وتُثبت أن قول نفطويه قول غير دقيق صادر عن عداء ، ومنافرة ، وهجاء بين رجلين متعاصرين ، فقد روي عن ابن دريد أيضا قوله : (5)

لو أنزل الوحي على نفطويه   لكان ذاك الوحي سخطا عليه
وشاعر يدعى بنصف ، اسمه   مستأهل للصفع في أخدعيه
أحرقه الله بنصف اسمه   وصير الباقي عويلا عليه

---

5 - نزهة الألباء : 261 ومعجم الأدباء 311/1

ثم أن سيرة " نفطويه " تُظهر أنه رجل غير محبوب من معاصريه ، إذ تبرموا منه .

- من ذلك قول ابن بسام (6) :

رأيت في النوم أبي آدما　　صلى عليه الله ذو الفضل
فقال : أبلغ ولدي كلهم　　من كان في حَزْن وفي سَهْل
بأن حواً أمــهــم طــالــق　　إن كان نفطويه من نسلي

وكذا قول محمد بن زيد الواسطي المتكلم (7) (ت 306 هـ) :

من سره لا يرى فاسقا　　فليجتهد ألا يرى نفطويه
أحرقه الله بنصف اسمه　　وصير الباقي صراخا عليه .

نعم لا ننكر وجود أوجه شبه بين الكتابين :

- من ذلك : ما كان في التنظيم كتقسيم الجمهرة إلى أبواب الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي ، والمعتل وهو ما ابتكره صاحب للعين .

وكذا اتباع الجمهرة طريقة التقاليب (8) التي ابتدعها صاحب العين مع خلاف في ترتيب الحروف، فقد كان الخليل بن أحمد قد فضّل الترتيب الصوتي للحروف ، في حين عاد ابن دريد للترتيب الألفبائي المعروف .

---

6 - معجم الأدباء 307/1 وبغية الوعاة 428/1

7 - شذرات الذهب 299/2

8 - أي مجمع الكلمات التي تشترك في جذر لغوي واحد - مهما كان ترتيب حروف هذا الجذر - في موضع واحد ، ف (كتب ، كبت ، تكب ، تبك ، بكت ، بتك) تبحث في مكان واحد .

- وكذا تشابه الاشتقاقات في جملة من المواد اللغوية ،

من ذلك ماورد في مادة " نهل " وهو:

العين 51/4	جمهرة اللغة 176/3
- انهلت الإبل : وهو أول سقيكها - وقد نهلت : إذا شربت في أول الورود والاسم : النهل - المنهل : المورد .... - المنهال :و الرجل الكثير الورود - الناهلة : المختلفة إلى المنهل قال : .... ويقال : نهل الرجل : عطش .... ونهل : إذا شرب .... وهذا من الأضداد وانهلت الرجل : أغضبته ومنهال : اسم رجل	النهل : من الأضداد عندهم ، لأنهم يسمّون العطشان ناهلا ، وللشارب أول شربة ناهلا ..... المنهل : المورد ، والجمع : المناهل . ومنهال : اسم ، كأنه مفعال من النهل ، وقد سمّت العرب نهيلا . ويمكن أن يكون منهال مفعالا من انهال الشيء انهيالا

فبعد المقارنة نجد :

ما جاء في جمهرة اللغة هو ما في كتاب العين ، لكن صاحب الجمهرة له عناية خاصة بالأسماء ، وذكر اشتقاقاتها كما يتضح من النص ، وهو صاحب تأليف مستقل في الاشتقاق .

أقول : مع وجود التشابه فإن شخصية ابن دريد بارزة لعنايته بجوانب لم يعتن بها صاحب العين .

ثم إن التشابه في ذكر الاشتقاقات ليس بالأمر الذي تفرّد به صاحب جمهرة اللغة من بين رواة العربية ومعجمييها ، بل هو منهج اتّبعه علماء العربية يروي فيه المتأخّر عن المتقدّم ، فالتشابه - إذا - ليس بالأمر الذي يُتّكأ عليه لاتّهام المتأخر بالسرقة من المتقدم ، وإلا لعمّت التهمة .

****

وأخيرا - وبعد ما تقدم ذكره من أدلة - فلا أظنّ لكلام نفطويه موطنا من الحقيقة .

المصادر

1 - بغية الوعاة ، للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل (القاهرة ، 1979) .

2 - تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي (القاهرة ، 1357هـ)

3 - تاريخ العلماء النحويين ، للقاضي التنوخي ، تحقيق د. عبد الفتاح الحلو (الرياض ، 1981).

4 - جمهرة اللغة ، لابن دريد ، (حيدر آباد الركن ، 1344هـ)

5 - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، للحنبلي (بيروت طبعة دار الآفاق) .

6 - العين ، للخليل الفراهيدي ، تحقيق د. السامرائي ، ود. المخزومي (بغداد ، 1980..)

7 - الفهرست ، لابن النديم (القاهرة ، 1348 هـ)

8 - مراتب النحويين ، لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق محمد أبو الفضل (القاهرة 1974)

9 - معجم الأدباء ، لياقوت (القاهرة ، 1923)

10 - نزهة الألباء ، لابن الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل (القاهرة ، 1967)